العرب
الإثنين 2020/04/20
السنة 42 العدد 11683

رعب تصنعه كائنات مجهولة في عمق المحيط

«حمّى البحر» فيلم دون بطولات فردية في ظل انتظار جماعي لمصير مجهول

لا شيء غير الماء والمصير المجهول، تلك هي خلاصة فيلم الخيال العلمي "حمّى البحر" التي تنطوي عليها مغامرة في أعماق البحار تخوضها شخصيات يفترض أنها من الصيادين، فإذا بها تواجه نهاياتها.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

مُغامرة مؤثّرة وإنسانية لشخصيات تبدو متنافرة ولا رابط يجمع بينها، لكنها في النهاية ما تلبث أن تجتمع تحت وطأة القدر والمصير. ذلك هو المدخل الذي يمكننا من خلاله الدخول إلى المفاجآت التي يزخر بها فيلم "حمّى البحر" للمخرجة نياسا هارديمان ومن إنتاج مجموعة داست المعروفة بتخصّصها في إنتاج أفلام الخيال العلمي.

في نفس غموض البحر وأسراره الغائرة تبدو شخصية سيوبهان (الممثلة هيرميون كورفيلد) فتاة لا تحسن صنع الصداقات، بينما تكرّس وقتها من أجل أبحاثها في صنع نظام رقمي للمحاكاة بين الكائنات البحرية وبرامج الكمبيوتر.

وقائع تجري في حيز مكاني ضيق، حيث فتاة بلا أصدقاء تبحث في محاكاة الكائنات البحرية لأحد البرامج الرقمية

شكوك وأسرار غامضة

أصدقاؤها لاهون في السمر والاحتفال، بينما هي منغمسة في أبحاثها، ثم لتواصل ما قطعته، وذلك على ظهر باخرة صيد تضم عائلة، يقومون جميعا بالمهمة على فرض أنهم عالمون في أي مسار يسيرون.

يوميات روتينية لبضعة أشخاص يمضون أيامهم في قبو الباخرة، بينما طبيعة سيوبهان المتحفّظة لن تتيح لها المزيد من التداخل مع الشخصيات، ثم لتفاجأ بأن مواد لزجة تخرج من جدران الباخرة مُخترقة الحديد والخشب، ثم لتتأكّد سيوبهان أنها كارثة قادمة، وخاصة بعد قيامها بالغوص تحت السفينة.

على الجهة الأخرى، سوف تعثر هي والآخرون على سفينة مهجورة، وإذا بجميع من كانوا على متنها قد ماتوا وليس ذلك فحسب، بل بدت عيونهم مُقتلعة من محاجرها وهو ما أثار هلع سيوبهان.

لم يمض وقت طويل حتى سقط أحد أفراد الطاقم بنفس الأعراض، تفجّرت عيناه عن طفيليات تفحصّتها سيوبهان من خلال المجهر لتتأكّد أن هناك كائنات بحرية غريبة تنفث سموما من خلال يرقات تقوم بإنتاجها مُختلطة بمادة صمغية لزجة.

والحاصل أن الشخصيات تصبح وجها لوجه أمام قدرها، إذ لا تعرف كيف تتخلّص من المأزق، ثم ليتأكّد الجميع أن قائد الباخرة قد تعمّد إدخالها في منطقة خطيرة، ولهذا كانت الحيتان والدلافين تظهر بكثرة في منطقة وجود الباخرة.

واقعيا لم نجد الكثير ممّا يمكن أن تخرج به الشخصيات المُحاصرة وهي مُلاحقة بشبح ما تجهله. لكن العيون هي التي تفضح هذه الشخصيات، ولهذا تتولى سيوبهان فحص عيون الجميع ليتم التأكّد من إصابة القبطان بالوباء ممّا يدفع زوجته إلى قتله قبيل أن ينقل الوباء إلى الآخرين.

اليأس الذي يتسرّب إلى النفوس ما يلبث أن يتحوّل إلى دافع للنجاة، بينما تواصل سيوبهان دراستها المعمّقة لما يجري. ولكن من دون أن يكترث لها أحد بل إنها بالعكس من ذلك، سوف تتلقّى معاملة سيئة بادعاء أنها تشاؤمية وتحليلاتها لواقع الحال لا تنطوي على مصداقية.

وفي داخل هذا الإطار المُغلق ظلت الشخصيات تتحرّك في حدود هذا المربع عاجزة عن إيجاد أي وسيلة للإنقاذ.

واقعيا، تشعر بالجمود الدرامي وبضعف في التحوّلات في ما يتعلّق بالشخصيات ما عدا انتظار كل شخصية لمصير مجهول. وفي مثل هذه العيّنات من الأفلام التي هي إما أفلام كوارث وإما كائنات غامضة وإما كائنات بحرية عملاقة سوف يتم التركيز على الناجين من المحنة، وهنا سوف ينجو أوميد (الممثل أردلان إسماعيلي) مع سيوبهان لوحدهما.

أوميد الذي هو مهندس السفينة لا يجيد السباحة وخلال نزوله من الباخرة المشتعلة إلى زورق الإنقاذ للحاق بسيوبهان يسقط في البحر ويكاد يتعرّض للموت، فتنقذه سيوبهان لتتعرّض إلى هجوم مُباغت من كائنات بحرية سوف تسبّب لاحقا في تسرّب السم إلى جسدها.

بالطبع لن نعرف بشكل واضح لماذا تركت سيوبهان كل شيء وعادت إلى قاع المحيط معرّضة نفسها للمزيد من المخاطر، ربما لقناعتها أنها سوف تموت في كل الأحوال من تلك العضّة المسمومة التي نهشت لها جانبا من ذراعها.

على صعيد بناء المكان، وعلى الرغم من محدودية زوايا التصوير إلا أن المخرجة وكل أعضاء التصوير استطاعوا التخلّص من ذلك القيد المكاني، فقدّموا الشخصيات وهي تُمارس يومياتها بشكل معتاد ثم وهي تنتظر مصيرها.

وفي مثل هذه الأفلام يتم التركيز على البطولة الفردية وعلى حس المغامرة، إلاّ أن هذا الفيلم بدا مُكتفيا بشخصية سيوبهان وهي تقوم بتفسير الظواهر البحرية بناء على دراستها من دون أن تدخل في دائرة المغامرة، مع أنها قامت بالغوص في منطقة خطيرة في عمق البحر، إلاّ أن ذلك لا يندرج في إطار المغامرة الخارقة.

ومن خلال ذلك، تساوت إلى حد كبير نزعات الشخصيات من منطلق بنائها الدرامي المجرد، لاسيما وأنها شخصيات بدت في الغالب انطوائية، يلفها الغموض ابتداء من القبطان الذي يجد في اللاهوت والصلاة الجماعية حلا للأزمة التي أدخل الآخرين فيها.

وفي ما يتعلّق بشخصية القبطان فقد كان ملفتا للنظر، وهو المتديّن الورع أن يخدع الجميع ويرميهم في تهلكة يعلم أبعادها جيدا، ثم يكون هو أحد ضحاياها عندما يطلب من زوجته أن تنهي حياته لكي لا ينقل العدوى إلى الآخرين، وهو ما يحصل فعلا.

تعالي أيتها الغيوم

فاروق يوسف
كاتب عراقي

"هل سنعود إلى الحب؟" يا له من سؤال ساذج. لقد رأيت صورة مكبّرة من لوحة غوستاف كليمت "القبلة" وكانت عبارة عن إعلان تجاري. حينها فكّرت بقبلة رودان. لن يمرّ زمن طويل على البشرية لكي تستعيد زمن العناق والقبلات. ما من تقنية تعبّر عن شوق الجسد إلى أن يهرب من عزلته مثل القبلة.

هناك سؤال وجودي ورغبة في الحماية والانتظار كما لو أن أحدا يقف عند باب القطار الذي نستقله. وإذا ما كنا قد شبعنا من مناظر الحقول النضرة التي رأيناها عبر نوافذ القطار، فإن رؤية صديق يقف في انتظارنا ستبعث في أرواحنا رغبة استثنائية في العناق من أجل أن نقول "إننا لا نزال نعرف الطرق التي تؤدي إلى الحياة الحقيقية" لقد كنّا هناك ذات يوم وها نحن نستعيد مواقعنا. ولكن متى يحدث ذلك؟

الأطباء بشر مثلنا. يحلمون بالجواب وهم في أشد حالاتهم عياء. لقد صار على الشقاء أن يحلم. أحيانا يكون الطبيب ساعي بريد. بطريقة محايدة يحمل رسائل المرض إلينا.

ولكنني أفكّر بالدكتور زيفاكو. حين رآها آخر مرّة سقط ميتا. لن تكون البشرية الدكتور زيفاكو. لا أحد يفكّر أن يمثّل دوره مثلما فعل عمر الشريف.

عذاب الحب كله كان هناك وأيضا الرغبة في أن لا نقول شيئا. ذلك لأن الصمت ينطوي على الكثير من الكلام، غير أن القبلة تصنع جملها التي تثرثر بالكثير من الكلام. وكما أتوقع فإن العالم المُغرم بالكلام سيكون مضطرا لأن يصمت زمنا طويلا في انتظار القبلة التي تقول كل شيء.

سنعود إلى الحب بالتأكيد. ولكن كما لو أننا لم نحب من قبل. سنتعلم أن نقبل بعضنا بحذر يُفسد لحظة الاشتياق. ستكون الصرخة جاهزة. حنجرة تطبق على غيمة.

أما المطر فإنه كلمات مُبعثرة. ستكون قبلاتنا بحجم انتظارنا. الزمن الذي قضيناه ونحن ننظر من نوافذ القطار. أما وقد وصلنا فتعالي أيتها الغيوم لنبكي معا.

لا تقلق عزيزي.. المسرح الفرنسي يأتي إلى بيتك

مرة أخرى يضطرنا الحجر إلى متابعة عرض مسرحي عبر تسجيلات فيديو تقترحها المسارح كطريقة للحفاظ على جمهورها، ومساعدته على ملء أوقات فراغ ما انفكت تتمطّط. وقد اخترنا المسرحية الهزلية "كادوك" التي كان يفترض أن تتواصل حتى نهاية الشهر على خشبة "رون بوان" بباريس.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

تحوم مسرحية "كادوك" حول ثيمة العمل داخل مؤسسة، والعلاقات المتوتّرة بين الأعراف وعمّالهم من جهة، وبين العمّال أنفسهم من جهة أخرى. ولكنها لا تكتفي بذلك، بل تتجاوزه إلى استقصاء أثر ذلك في حياتهم العائلية.

وريمي دي فوس، مؤلف المسرحية، له خبرة بهذه الأجواء، إذ سبق له أن تقلّب بين مهن كثيرة بعد أن أنهى دراسته الثانوية، وعاين أساليب أصحاب المؤسّسات في استنزاف طاقات عمّالهم، وتحريض بعضهم على بعض أحيانا، والأدوار الخسيسة التي يقوم بها العمّال أنفسهم تجاه بعضهم بعضا كالوشاية والتزلّف والعرقلة طمعا في ترقية.

وقد اختار جان ميشيل ريب، المخرج ومدير مسرح "رون بوان" الباريسي في الوقت ذاته، تناول هذه الثيمة. ثيمة أثر الشغل على سلوك الأفراد تأثيرا قد يصل إلى الإخلال بحياتهم الخاصة، بأساليب متنوعة يمتزج فيها الهزل والفودفيل والبولفار وحتى العبث، ليجعل من الطبائع البشرية مثار سخرية، ولكن بطريقة فنية تنتزع الضحك على مدار العرض.

وتبدأ الحكاية بشيء من العبث على طريقة غوغول، حين يفاجأ أحد موظفي مؤسّسة صغرى بشخص غريب جالس في مكتبه، هذا الشخص له هيئة قرد صغير الحجم لا يراه إلاّ ذلك الموظف كلما دخل مكتبه صباحا ليستهل يومه، وما ذاك إلاّ من أثر ملف "كارفليكس" على ذلك الموظف المهووس بدقة العمل وسرعة الإنجاز.

ثم ننتقل إلى ملمح من مسرح البولفار حين يقع لبس يؤدّي إلى سوء تفاهم، ذلك أن أبطال المسرحية هنا ثلاثة أزواج وثلاث زوجات تتقاطع طرقهم يوميا، فهم يقطنون العمارة نفسها، وتتوزّع المهام على الطريقة التقليدية بين زوج يعمل وزوجة تتولى شراء ما يلزم البيت وترتيبه وإعداد الأطعمة، ما يعكّر الأمزجة ويخلق سلسلة من التوترات.

أبطال المسرحية هم فورتز، مدير مؤسّسة "كروم"، رجل يزاوج بين اللين والشدّة لاسيما إذا أحسّ بأنه غير محبوب، فهو يعاني من سوء ظن الموظفين به، إذ يصفه أغلبهم بالمستبد، ويعاني أيضا من الحالة النفسية لزوجته نورا، التي غالبا ما يعتريها توتر يقودها إلى ما يشبه الهذيان، فيحتدّ طبعها وتكيل لمن يصادفها الشتائم، بدءا بزوجها. وسيرج غولون الذي يحلم بإزاحة فورتز والحلول محلّه، وهو سيء الطبع يصم الناس جميعا بالحمق ويستثني جوديت، زوجته المتبرّجة، المستهترة في سلوكها وهيئتها، والمبتذلة في خطابها.

وأخيرا هيرفي شميرتز المهووس بملف كارفليكس، ويمثل هو وزوجته ماريون صورة عن جيل هذا القرن، الذي يجد صعوبة في إيجاد موقعه في هذا العالم الرهيب، برغم إنسانيته ورهافة إحساسه. فالرجل دائم القلق، كثير الكوابيس، يخشى أن يفشل في المهمة التي كلّف بها فيفقد وظيفته، وزوجته حائرة لا تدري كيف تهدئ روعه.

واللبس الذي سوف يعطي للمسرحية دفعها وتواتر أحداثها أن فورتز أراد أن يخفّف عن زوجته شعورها بالوحدة والإحباط، فوجّه دعوة إلى شميتز وزوجته لتناول العشاء برفقتهما. ولكن الدعوة توجّه خطأ إلى من يريد به شرّا، أي غولون.

والمخرج، جان ميشيل ريب نظر إلى المسرحية كفسيفساء أشياء غريبة وبوليفونية أنوات، فالعقدة التي انبنت عليها بسيطة، ولكن تناولها مسرحيا جعلها تتبدّى على الخشبة ثرية بالأحداث والتقلبات والمفاجآت.

واستطاع أن يجعل تسلسل المواجهات سلسًا بفضل الفضاء المفتوح، ما ساهم في إيجاد متنفّس للكتابة المركّبة والمتعدّدة العناصر التي دأب عليها ريمي دي فوس، وبفضل السينوغرافيا التي صمّمتها صوفي بيريز، والقائمة على مستويين، السفلي للعمل، والعلوي للحياة الخاصة، مع سلالم وجسيرات، ما سمح للأبطال بالتنقّل بسهولة في شتى الاتجاهات، وسمح أيضا بتغيير الديكور دون إخلال بإيقاع المسرحية وتنوّع مشاهدها.

"كادوك" مسرحية ناجحة، رغم ما شاب جزأها الأول من بطء، فالحوار مكثف كثافة تصيب المرمى، والأحداث متواترة على نسق مطّرد حتى النهاية. الطريف أن الكاتب استطاع أن ينتزع الضحكة من خلال موضوع يتسم بالقسوة والسوداوية، ونعني به عالم الشغل في مجتمع رأسمالي لا يعرف الرحمة.

بهذا العمل يُثبت ريمي دي فوس أنه واحد من كتاب المسرح البارزين في فرنسا، ولئن اعتاد أن يستوحي كتابته من الأنماط التي أظهر تمرّسه بها في أعماله السابقة مثل "إضراب"، و"إدارة" و"قناعة خاصة"، أي الفودفيل والبولفار، فإنه يضفي عليها طابعا مخصوصا من النقد الساخر، والمواقف السريالية الهزلية التي تذكّر أحيانا بألفريد جاري، وأحيانا أخرى بيونسكو وبيكيت.

يقول جان ميشيل ريب "ريمي دي فوس لا يروم إضفاء قيم أخلاقية على عالم الشغل، ولا أن يستخلص منه درسا أو يوجّه رسالة، وإنما يكشف لنا عن عبثيّته الهاذية. قليلون هم الكتاب الذين يفعلون مثله، ربما لأنهم مُرتعبون من إمكانية إثارة الضحك في صفوف الجمهور".

فسيفساء الأشياء الغريبة

"كادوك" مسرحية عبر الفيديو يمتزج فيها الهزل والفودفيل والبولفار وحتى العبث، بقالب هزلي ساخر